اسم الدرس : تفسير سورة الذاريات

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

معنا وقفات بسيطة مع سورة الذاريات، بالطبع لن نستطيع انهاء السورة بأكملها، نسأل الله التيسير.

طبيعة القرأن المكّي

السورة مكية إجماعًا، يتضح ذلك من الآيات القصيرة المتتالية، هذا طابع القرآن المكي؛ ولكن ليس كل القرآن المكي هكذا، لكنك حين تجد آيات قصيرة سريعة متتالية بهذه الصورة فغالبًا هذا طابع القرآن المكي.

القرآن المكي يخاطب أُناس غافلين؛ بينما القرآن المدني كان يخاطب الموجودين في المدينة، وكان منهم اليهود الذين هم من أهل الكتاب.

فأهل الكتاب بحاجة إلى مناقشات؛ لأن عندهم كتاب أصلًا، فأنت تقول له: إن معي كتاباً مهيمناً على الكتاب الذي معك، هو ناسخ للكتاب الذي معك، فهو مدرك أصلًا ما معنى الرب، والبعث، والقدرة، بل قصص الأنبياء التي عندك هو عنده قصص أخرى موجودة في التوراة، فهو ليس مجرد إنسان غافل، لذلك ربنا أسماهم في سورة "الفاتحة" ماذا؟: المغضوب عليهم، لماذا مغضوب عليهم؟

لأن هو عنده علم، هو ضل على علم، فغضب الله عليه.

إنما النصارى ربنا أسماهم ماذا؟: ضالين، لماذا ضالين؟

لأنهم ساروا في العبادة بغير علم، ففقدوا البوصلة، فضلوا في الطريق. إنما اليهود عَلِمَ ورفض ؛ فالله –عزَّ وجلَّ– غضب عليه.

فنجد أن القرآن المدني له طابع يتميز بطول الآيات ؛ سواء يخاطب مؤمنين ويقول لهم على شرائع؛ أو يخاطب أهل كتاب معاندين.

أما القرآن المكي فإنه يخاطب أُناساً لا زالوا رافضين، لا يريدون أن يسمعوا.

فدائمًا عندما تخاطب إنساناً، رافضاً، معرضاً، لا يريد أن يسمع؛ تبدأ معه بالقرآن المكي وليس بالقرآن المدني، فيكون خطابك طرقات سريعة متتالية عن البعث، والدار الآخرة، ومعرفة الله –سبحانه وتعالى–

، يكون كلامك له طرقات سريعة؛وليس موضوع واحد وتظل تستفيض، وتُوصل، وتُفصل فيه؛ لا.. هذا مناسب مع أحد في المسجد، أما شخص في الشارع، مُعرض لا يريد أن يسمع، فأنت تقول له لابد أن تقترب من ربنا -عز وجل-، وأننا سنموت، وربنا —سبحانه وتعالى- سيسألنا عن أعمالنا، وسنقف بين يدي الله، **فيكون كلامك طَرَقَات**

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ* عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ* الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ*كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[النبأ:1:2:3:4]، طرقات. ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا*وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾[النازعات:1:2]، طرقات سريعة متتالية.

فكذلك سورة الذاريات طرقات سريعة متتالية ﴿ وَالذّارِياتِ ذَروًا* فَالحامِلاتِ وِقرًا* فَالجارِياتِ يُسرًا* فَالمُقَسِّماتِ أَمرًا ﴾

آيات سريعة متتالية؛ كطابع القرآن المكي.

إذاً مرة أخرى عندما تبدأ مع أحد مُعرض غافل؛ تبدأ معه بالقرآن بالمكي، والقضايا التي تكلم عنها القرآن المكي في مكة.

سورة اليقين

اسم السورة كما تعلمون الذاريات، وهناك من العلماء - خصوصًا المتأخرين- أسماها سورة اليقين، مثل: الدكتور فريد الأنصاري في كتابه "مجالس القرآن" الجزء الثاني، شرح فيه سورة الذاريات وقال: إنها سورة اليقين؛ لأن فيها مسألة: إثبات يقيني لبعض صفات الله —سبحانه وتعالى-،

وعلى النقيض هناك أناس ربنا أسماهم: الخراصون ﴿ قُتِلَ الخرّاصُون﴾.

-ما هو الخَرص؟

- هو الظن أو التخمين

والخَرَّاص كانت وظيفته أن يأتي إلى النخل، ويُقدر تقريبًا كم سيُنتج هذا النخل من ثمار. فالخراص هذا لغة: أحد ليس عنده يقين.

فكأن سورة الذاريات تقتل هذا الخرص في النفس، حتى تصل إلى مرحلة اليقين، ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ* وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾[الذاريات:6:5]، تكلمك أنت حتى تصل لمرحلة اليقين.

أيضاً مما قيل إجمالاً عن السورة: أنها السورة الوحيدة التي ذُكر فيها اسم الله "الرزاق" ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:58]،

لذلك قالوا: إن من المعاني الأساسية التي تتحدث عنها سورة الذاريات، أو من المحاور الرئيسية فيها:

مسألة الرزق.. ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[الذاريات:22]، وربنا قال في آخر السورة ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[الذاريات: 57].

قضية الرزق

فتكرار قضية الرزق في السورة تشير إلى: أن من عنده إشكالية في قضية الرزق، وشك في أن الله هو الرزاق؛ هو في حاجة للرجوع إلي سورة الذاريات، من عنده شك وخَرَصْ وغير مستوعب كيف ستُحل؟!

هذا يحتاج أن يقرأ سورة الذاريات، وأن يتدبرها.

طبعًا سور القرآن أعمق بكثير مما نتخيل، كلما نقترب منها –وركزوا معي في هذه الجزئية– ،

كلما كان هدفنا أن نرضي ربنا أكثر ونتقرب إليه، كلما نفهم القرآن أكثر؛ لأن القرآن يخاطب من يريد أن يصل، أو من أكثر من يخاطبهم القرآن هو من يريد أن يصل.. أن يتقرب ..فالقرآن يخاطب الجميع، لكن من أكثر الناس استفادة من القرآن: الشخصيات التي تتوق للوصول.

لو تتذكروا؛ قمنا بعمل لقاء مع بعض الشباب عن القرآن؛ فكان من الأسئلة : لم نحن لا نستفيد من القرآن؟، أظن قلت في هذا الفيديو: تخيل لوأن احدا يود أن يصير مليونيراً، وأحضر كتاب (كيف تصبح مليونيراً)، فكيف سيقرأه؟ ستجده يقرأ كل كلمة، وكل حرف، ويريد أن ينفذ كل مافيه؛ لأنه يريد أن يصير مليونيراً، فمن يحب أن يصبح مليونيراً فستجده يقرأ الكتاب بشغف ويحرص على تطبيق كل كلمة فيه !!!

فكذلك من تتوق نفسه أن يصل إلى الفردوس الأعلى، ويريد أن يصل إلي رضى ربنا –سبحانه وتعالى–، فسيقرأ القرآن يبحث عن مراد الرب –سبحانه وتعالى–.

حسنا.. نبدأ في المرور على الآيات سريعا ونسأل الله التوفيق.

قَسَمٌ .. وجوابه !

بدأت السورة (بسم الله الرحمن الرحيم) بقَسم: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا* فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا* فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا* فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات:1:2:3:4]، **أربع أقسام** -أو قسم ومعطوف ما بعده عليه بالفاء-، والفاء تفيد

التعاقب والتوالي بسرعة، **وجواب القسم**: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ* وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[الذاريات:5:6]

ربنا —سبحانه وتعالى- أقسم بأربع أقسام، وبعد هذا قال:

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ* وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾

أي:إن أي وعد وعده ربنا فهو وعد صادق لا شك فيه، سواء كان هذا الوعد بعثاً، أو هذا الوعد رزقاً لأهل الإيمان- ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ* وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾، يوم القيامة لا بد آت لا محالة.

حسنا؛ ما هي الذاريات ذروا، والحاملات، والجاريات، والمقسمات ؟؟؟

اختلف المفسرون على قولين:

- **الأول**: أن كل كلمة، أو وصف منهم يدل على معنى مستقل، بمعنى أن الذاريات شئ، والحاملات شيء ثان، والجاريات شيء ثالث، والمقسمات رابع.
- **وقول آخر**: بأنهم الأربعة أوصاف لشيء واحد فقط.

ننتهي أولا من القول السهل؛ من قالوا أنهم الأربعة شيئاً واحداً -وأصحاب هذا الرأي هم الأقل فغالب المروي عن السلف أن الأربعة مختلفين-

قالوا: إن ربنا —سبحانه وتعالى- يقسم ب**الرياح**.

وأما من قالوا أنهم مختلفين -وهذا هو الأشهر والأكثر-، قالوا: **(الذاريات)هي الرياح،**

و(**الحاملات) هي السحاب**؛ بمعنى أن الرياح تدفع السحاب بترتيب من ربنا –سبحانه وتعالى–، يقدر الله –عزَّ وجلَّ– الكمية، والزمان، والمكان ؛فتتحرك السحب بعد أن تصبح مليئة بالخير ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾.

وبعد هذا، –عندما أصبح السحاب يحمل الخير والمطر؛ بدأت السفن تنتقل بالخير،

﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾؛ **الجاريات هي السفن**، وبعد هذا السفن تنقل الأرزاق، و الأرزاق يكون بتقدير من الله –عزَّ وجلَّ–، ويقوم على التوزيع ملائكة بأمر منه –سبحانه وتعالى–،

﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾[الذاريات:4]؛ **أي الملائكة يقسمون الأرزاق بأمر منه –سبحانه وتعالى–.**

إذاً السورة بدأت بقسم بأمر في الأصل أنت لا تراه وهو يتحرك، فالرياح تتحرك، وتحمل حبوب اللقاح من مكان لمكان ،أو تنقل البذور من مكان لمكان، أوتحرك وتثير السحاب من أجل إنزال المطر–، وانتهت الأقسام بمشهد؛ كل إنسان أو كائن يستلم رزقه، (الْمُقَسِّمَاتِ)فالرزق يُقسم؛ وما بين بداية لحظة تحريك الرياح إلى وصول الرزق إليك، هذه رحلة لا يعلمها إلا الله.

فمثلاً الرزق الذي أتاك اليوم، أو سيأتيك غداً بمشيئة الله قد يكون بدأ رحلته إليك منذ عام، بترتيب منه –سبحانه وتعالى– وبتقدير لكل شيء؛ كل قطرة ماء ، طعام، مال، الخ...

إن تفكرت في أمر توزيع الرزق، تجده مُقدر بمقادير دقيقة وعجيبة ؛سبحان الله!!

فمثلاً أنت تنزل من بيتك لتذهب إلى مكان ما؛ فتريد أن تركب سيارة أجرة، ثم تتأخر لأي سبب ..تنسى شيء فتعود لتأخذه أوأنت في الطريق يشغلك شاغل، فتفوتك السيارة التي كنت ستركبها وتركب غيرها ، كذلك أحياناً تذهب لتشتري سلعة من محل تجاري معين، ولكن ينتهي بك الأمر أن تشتري من محل آخر، وهكذا، كل هذا مقدر من عنده –سبحانه وتعالى–، ومقسم ، فرب العالمين يقسم الأرزاق، ثم يأمر الملائكة أن توزعها.

فأنت عندما تتفكر في رحلة الذاريات إلى المقسمات؛ رحلة طويلة جدًا، من الذي يقدر ويدبر ذلك؟، ومن يدبر الأمر؟.. الله –سبحانه وتعالى–، **فكونك لا ترى إلا تلك المرحلة الأخيرة، فهذا لا يعني أن تُنكر ما وراءها، فأنت في حاجة إلى أن تتدبر في أوائلها.**

وهذا ما يفرق ما بين الإنسان والدابة، الدابة دائمًا تنظر إلى اللحظة النهائية للرزق، بمعنى أن الدابة لا ترى إلا الشخص الذي وضع أمامها الطعام، هي لا ترى أو تفكر في غيره، فهي لا تفكر في رحلة هذا الطعام وكيف وصل إليها.

ولو تركنا الحديث عن الدابة فعندك أيضاً على سبيل المثال: الطفل الصغير. الطفل الصغير الذي لم يعي الأمور بعد، هذا الطفل لا يعرف سوي أن أبوه هو من يحضر له الأشياء التي يحتاجها، هو لا يستطيع أن يرى ما وراء ذلك ؛

لذلك ربنا –سبحانه وتعالى– قال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾[عبس:24]، لم يقل فلينظر الإنسان إلى طعامه، كيف هو مختلف..!، لا ..هذه آخر الرحلة، ولكن الله تعالى أمرنا أن نتفكر في أول الرحلة ، من لحظة البداية

فقال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا* ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا* فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا* وَعِنَبًا وَقَضْبًا*وَزَيْتُونًا نَخْلًا﴾[عبس:25:26:27:28:29].

لذلك نحن مأمورون بأن نتدبر الأمور من بدايتها، فمثلا من يريد تدبر قصة سيدنا يوسف وقد أصبح ملكا، يحتاج أولاً أن يتدبر القصة منذ طفولته، بمعنى تأتي بالأمر من أوله إلى آخره، لترى كيف أنه تعالى **لطيف لما يشاء** –سبحانه وتعالى.

فكذلك في قضية الرزق ولا سيما مع الأزمة الاقتصادية التي نمر بها والناس في هلع وجزع..
أنت محتاج أن يكون لديك ثقة في الله سبحانه وتعالى، ويقين أن الله هو خير الرازقين،وبعد فهم و تدبر سورة الذاريات إن شاء الله، تجد في قلبك اليقين والقناعة والثقة أن الله هو الرزاق.

ثم يأتي السؤال التالي ؟؟

كيف أنال هذا الرزق؟

ومن الذي ينال هذه المعاملة ؟

إبراهيم عليه السلام كان في النار ووجدها بردًا وسلامًا، فقد تكون في أزمة أنت والناس، ولكن لك((معاملة خاصة)) مع الله عز وجل ..**ولكن لكي يكون لك معاملة خاصة، لابد أن يكون لك حال خاص.**

فليس بين الله وبين أحد من خلقه نسب، أنت تريد أن تُعامل معاملة فيها بركة ورزق وسداد، إذًا لابد أن يكون لك حال خاص، وإلا فحينها ستُعَامل كغيرك من الناس.

سورة الذاريات تسكب في قلبك اليقين.

الله سبحانه قادر أن يرزق الإنسان من حيث لا يحتسب، والله عز وجل –كما أخبرنا في هذه السورة– قادر أن يُغير أسباب الرزق تمامًا، أحيانا الإنسان قد يُخطيء أخطاء بسيطة جدا؛ يخسر بها أشياء كبيرة جدًا، سواء يخسر بها سمعته، أو يخسر بها أمواله، أو غير ذلك من أنواع الخسارة، على الرغم من أنها أخطاء بسيطة، ولذلك لا تغتر بالسبب ولا تركن إليه أبدا، لأنه ببساطة قد يذهب منك في لحظة..

لذلك ربنا سبحانه وتعالى قال(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ..) **أي بالخير ليس بالله؛**.. (وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ المبين) (الحج:11)

نعود لآيات سورة الذاريات؛الله سبحانه وتعالى يقول :

(وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا) مشهد الريح وهي تذروا .. هل تتخيل مشهد الذرو هذا كيف يكون؟

تخيل أنك مثلا تمسك بتراب أو بذور فترميها وتذروها .. تأمل موقفك، وأنت تلقي التراب والبذور هكذا ..

هل هذا الموقف فيه عشوائية أم ترتيب؟

الجواب: عشوائية

ولكن انظر إلى آخر هذه الآيات؛ الآية الرابعة (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا)

بداية الأمر قد يظهر بالنسبة لك أنها عشوائية، يعني مشهد الريح وهي تذروا، قد يخيل لك أو تعتقد أن هذا الأمر عشوائي، ولكن هذا المفهوم يتغير بقوله تعالى (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا)

إذًا الأمر مُقسّم، الأمر ليس فيه عشوائية أبدًا

النبي صلى الله عليه وسلم لما أمسك الحصى وألقاه على المشركين وقال : (شاهت الوجوه)[1] ، كل حجر أصاب واحدًا منهم، ونجد ذلك في قول الله عز وجل (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) (الأنفال:17)

أنت في بعض الأحيان قد تقف عند ميدان مثلًا، فترى الكثير من البشر، والكثير من السيارت، وكل واحد منهم في اتجاه، وكذلك في أي مكان مزدحم، فتعتقد أن الأمر عشوائي ..لا..ليس كذلك.

بل كل شيء بقدر .. (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر:49) (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ) (الحجر:21) الله عز وجل ينزل كل شيء، وكل رزق بقدر،كماورد في سورة المؤمنون (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ)

لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يضرب لنا مثال ونموذج للرزق، أتى لنا بنموذج المطر، تخيل أن قطرات المطر هذه تنزل بقدر؟!

متخيل المشهد؟!

نحن قد ننظر للمشهد فنظنه عشوائيا، أو مجرد مطر ينزل وانتهى الأمر..لانعيره اهتماما ولا نتفكر فيه ؟! والأمر ليس كذلك..

قطرات المطر هذه تنزل بقدر، (فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ) انظر إلى كمية الماء التي يمكن أن تحتفظ بها الأرض، وبالرغم من أنها محفوظة في أأمن مكان، إلا أنه سبحانه قادر على ذهابه "وإنا على ذهاب به لقادرون" وكذلك في أي شيء أنت تخزنه (وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) الله قادر أن ينزع أي شيء.

[1] الراوي : عبدالله بن عباس | المحدث : الألباني | المصدر : السلسلة الصحيحة

ولذلك بعض الناس أصابهم التعجب والاندهاش وانبهروا لما رأوا قارون وملكه العظيم (يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79)) فقال لهم أهل العلم (وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ) (القصص:80)

فالفريق الأول منبهر، ومستبعد تمامًا أن يهلك مُلك قارون هذا !!!..

لسان حالهم = ماذا يمكن أن يصيب قارون؟!

حتى لو كانت هناك أزمة اقتصادية مثلا، فإنها لن تضر قارون في شيء، لأنه ذو حظ عظيم

هذه نظرة أهل الدنيا ..

(فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ)حينها أيقنوا بقدرة الله؛ فقالوا(وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ) كثير من الناس لا يصدق حتى يرى بعينه، على الرغم أن الله أخبرنا بكل هذا، الله عز وجل أخبرنا: أنه قادر أن يغير كل شيء في لحظة سبحانه وتعالى.

نعود لمشهد (الذرو) قد تظن أو تشعر أن فيه نوعًا من العشوائية، ولكن الحقيقة سوى ذلك **=كل شيء بقدر**

وسنرى بعد ذلك كيف أن الله تعالى لطيف؛ الرزق يتنقل، في الأول كان الذاريات، ثم بدأ الخير ينتج، وكذلك أي عمل فإنه يمر بمراحل، فعندما تعمل في الدعوة إلى الله مثلا، تجد أن الدعوة تمر بمراحل، كما هي

سنة الله في خلقه= التدرج

فالله عز وجل خلق السموات والأرض في ستة أيام، حتى لا يكون في صدرنا حرج من ذلك، فدائمًا الشخصية العجولة تجد في طريقها العنت، لأنها تصادم سنة كونية، فأي أحد يصادم سنة كونية سيشعر بالعنت، لأنه يمشي بطريق مخالف.

فمن سنن الله في الكون: التدرج، الشمس تطلع تدريجيًا، وتغرب تدريجيا، وكذلك الليل، فلا تجد تعاقب الليل والنهار يأتي فجأة، ولكن هناك نوع من التدرج، وذلك في كل شيء، النبات في نموه وخروجه من الأرض .. الإنسان يظل في بطن أمه تسعة أشهر، قبل الولادة ، تخيل لو أن أحدًا يعمل في الدعوة أو في التربية، ومع ذلك هو عَجول!!

تخيل مشهد الإنسان الذي ينتظر طفلًا، ومشهد الداعية أو المربي الذي ينتظر خروج الكوادر، أو تربية أحد ليعمل للدين.

نعود لمشهد الأب.. تخيل مثلا الأب العجول، وهو لايستطيع الانتظار لمدة تسعة أشهر، فهو يتعجل نزول ابنه، فتخيل لو الطفل نزل بعد ٣ شهور .. سيموت.. لو نزل ٥ شهور.. أيضا سيموت.

طب تخيل الأب منتظر، ثم ولد الطفل ومازال رضيعًا، لا ينطق ولا يمشي، مازال يحتاج إلى رضاعة وعناية، مدة طويلة حتى يكبر،وهو لا يطيق الانتظار!

فدائمًا الإنسان عجول، لذلك لحظة أن الطفل يكبر ويتحرك ويساعد الأب، تكون هذه اللحظة التي ينتظرها الأب، وكذلك ينتظرها الداعية.

قال تعالى في سورة الصافات (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) في قصة سيدنا إبراهيم: يعني في أكثر لحظة هو كان أصلا ينتظرها (قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) إذًا سيُضحي به في هذه اللحظة المنتظرة، لم يأتِ الاختبار وهو مازال صغيرًا أو رضيعًا، ولكن جاء الاختبار في هذه اللحظة التي ينتظرها الأب (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) فهذه قمة التضحية، والابتلاء لسيدنا إبراهيم .

نعود مرة أخرى لسورة الذاريات، مسألة الرزق يأتي بنوع من التدرج، فلا أحد يستعجل الرزق من الله، فالله لا يعجل بعجلة وحينما يأتي الرزق يأتي بكثرة .

قال تعالى(فَالْحَامِلَاتِ وِقْراً)ما هو الوقر؟ ..الوقر هو الثقل كما قال تعالى (وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرً) أي: أذنه ثقيلة لا يسمع، لا يريد أن يسمع ..**السحب أصبحت مثقلة بالماء،**

لأن رزق الله عز وجل عظيم وكثير، لأن **الله حينما يرسل الرزق يُرسله مدرارا** (أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا) (عبس:25) الله عز وجل لما ينزل الرزق ينزل الرزق بكثرة لأنه كريم عظيم سبحانه وتعالى.

(فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا) قلنا الاختيار الأكثر أنها السفن ..انظر إلى رحمة الله حين ييسرلك الأمور.. سبحانه يجعل السفينة تجري في البحر بيسر؛

(فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا) فيشعر الإنسان أن الله عز وجل قادر أن يُلين له الصعاب، أي طريق في الرزق تمشي فيه؛ لو أراد الله –عز وجل– أن ينشق لك كانشقاق الماء للسفينة، لفعل ؛إنه سبحانه قادر على ذلك، أهم شيء أن تتعلق أنت بالله وحده.

وسنرى الآن كيف أن الله أتى لنا في السورة بنموذجين متضادين، الله عز وجل قادر على تغيير كل شيء إذا أراد سبحانه وتعالى.

سمى سبحانه السفن (فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا) فهي تجري وبسهولة، وكذلك في رزقك أيضًا الله قد يجعله كذلك.

(فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا) بالرغم من أنها وقرا وتجري بيسر، بالرغم من كل ذلك: إلا أن الأمر أيضا بقدر منه سبحانه وتعالى،

إذاَ مسألة اليقين في الرزق تحتاج =أني أثق في علمه وحكمته سبحانه وتعالى، فأنا واثق أنه رزاق، ولكن من الممكن أن أكون محرومًا من رزق معين.

وهنا قاعدة مهمة جدا دائما نقولها : أن آيات القرآن تستلزم أن تُضم مع بعضها البعض، فالذي يأخذ آية واحدة فقط، ويريد أن يعيش بها في كل شيء، لا يمكن ..هو في هذه الحالة قد يُسيء الظن بالله..

لابد أن نعلم أن هناك ما يسمى بالمطلق والمقيد ..آية مطلقة ليس فيها قيود، ولكن يقيدها آية أخرى..

نرى مثلا الذي يريد الدنيا، الله يعطيه من الدنيا (وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا)(الشورى:20) هذه أية مطلقة..

لكنها مقيدة بقيود وضوابط وقواعد أخرى جاءت في سورة الإسراء، **فهل كل من يريد الدنيا يأخذها؟**

هناك آيات كثيرة جاء فيها هذا المعني العام، ولكن نرى في الواقع:من الممكن أن تجد إنسان يتفانى، ويستميت ليأخذ الدنيا، ومع ذلك لا ينالها، لأن هناك قاعدة أخرى تقيدها(مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ) يعني **الدنيا التي يقدرها الله، للشخص الذي يريده الله.**

تحقيق اليقين

إذاً قليل من يوقن أن الله هو الذي قدَّر الذاريات (الرياح)، وقدّر الحاملات (السحاب)، وقدّر الجاريات (السفن)

وقدّر تقسيم الأرزاق (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا)

فالذي يوقن بذلك ثم يأتيه رزق قليل، أو عنده مشكلة في الرزق، **لابد أن يوقن أن هذا ليس نقصًا، ولا عجزًا منه سبحانه وتعالى، ولكن لحكمة** .

إذاً السورة لا تخبرك أنه لابد أنك ستأخذ رزقًا .. لا .. ولكن السورة تخبرك أن رزقك سيأتيك، ما كتب لك لن يستطيع أحد أن يمنعه عنك، وأن الله عز وجل قادر على ذلك؛ قادر على أن يأتي بالرزق إليك .. (فالجَاريات يُسْراً * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا)

الله سبحانه وتعالى يقسم الأرزاق..والتقسيم لابد أن يتبعه رضا..لأن التقسيم يعني: أن أحدا يأخذ، وربما آخر لا يأخذ..

ولذلك في خواتيم سورة الشورى يبين الله تعالى أنه يقسم الأرزاق.. فقال (يَهَبُ لِمَن يَشاءُ إِناثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشاءُ الذُّكورَ*أَو يُزَوِّجُهُم ذُكرانًا وَإِناثًا وَيَجعَلُ مَن يَشاءُ عَقيمًا إِنَّهُ عَليمٌ قَديرٌ)

إذاً هناك تنوع في تقسيم الرزق..فالإنسان يرضى برزقه، ويشكر الله على ذلك، ويُوقن أن الله قادر على كل شيء سبحانه وتعالى.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ* وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ وعد الله؛ أي وعد وعده الله هو وعد صادق؛ ربنا وعد بالرزق، وعد بالنصر وعد بيوم القيامة، أي وعْد وعَد به الله –عز وجل– هو وعد صادق حتى ولولم أره بعيني.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (صدق الله وكذبت بطن أخيك) وذلك عندما اشتكى له أحد الصحابة أن بطن أخيه استطلقت (أي بها تعب)، فقال له الرسول –صلى الله عليه وسلم–: (اسقه

عسلا) .. فقال: ازدادت (أي ازدادت سوءا) فقال: (اسقه عسلا).. فقال: ازدادت فقال في الثالثة: (صدق الله وكذبت بطن أخيك)[2] فسقاه الرابعة فشفاه الله، وكان النبي قد قالها قبل الرابعة..

وإن كان الحديث له دلالة أخرى؛ أنه وحي من الله له، أو أن الإنسان يجب في الدواء أن يصل لجرعة معينة؛ أيا كان؛ **الشاهد: هذا يبين مدى يقين النبي صلى الله عليه وسلم في كلام ربه سبحانه وتعالى.**

دليل الإحكام والإتقان

(إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (5) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (6) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (7) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (8) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (9) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (10))

الحُبك بمعنى الطرق؛ فهل هي مجرد طرق فقط ؟؟

قالوا: نفس فكرة النسيج.. أي أنها ليست مجرد طرق، بل تشير للشيء المنظم المرتب، الذي ليس فيه إختلاف..

فتحمل معنى الإتقان، وتحمل معنى الدقة، وتحمل معنى الزينة.

فحينما يكون هناك نسيج محبوك، وصناعة فيها حبكة.. خطوط منظمة مرتبة، فيها دقة؛ لابد وراءها صانع

ماذا يفيدنا هذا ؟؟

في الرد على الإلحاد ((وحقيقة مع طول الزمان أكتشف أن الإلحاد لا يحتاج إلى رد))

لكن حين نرد عليهم نقول: **أي عمل أو أي شيء فيه ذكاء وإتقان؛ لابد أن يكون وراءه صانع.**

لا يمكن أن يكون شيء عشوائي!!!

بمعنى.. لو إنك تمشي في الشارع، ووجدت بعض تراب ملقى بطريقة عشوائية..لن يستوقفك، أو ربما تظن أن الرياح قد حركته مثلا..

[2] صحيح مسلم

في حين أنك لو وجدت رسمة بالتراب في قمة الدقة والاتقان؛ العينين والفم والأصابع؛رسمة شخص مثلا، أو رسمة متكاملة لأي شيء ؛في قمة الدقة؛ لايمكن أن تفكر أن الرياح قد رسمتها بعشوائية.

فلو قابلت أي شيء فيه ذكاء ودقة وإتقان، لابد ان يكون هناك من صنعه وأتقنه, هذه فطرة في الإنسان.

وبنفس المنطق؛ كيف يخلق الله خلقا في قمة الدقة، ولا يُنزل شرع! هذا عبث! محاال

هل من المعقول أن يكون هذا الكون؛ الذي هو في قمة الدقة والإحكام قد خلقه الله لنا فقط للتنزه؟!

ناس تقتل وتسرق وتموت، وانتهى الأمر على ذلك؛ وأن الله لن يحاسب أحدا!

أنت بالتأكيد ستقول حينها أين العدل؟!

هل يُعقل الذي خلق الكون المحكم هذا يترك الناس تعبث هكذا؟!

بالتأكيد غير معقول!

فربنا يقول: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ)يقسم بدقة واتقان وروعة وزينة السماء ..كيف تختلفون فيه؟ ..كيف؟!

كيف تختلفون في شرعه (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ)!

الحبك :فيه نوع من الدقة والتوافق والاتقان؛ وعكسه الاختلاف؛ أنتم كيف تكونوا مختلفين هكذا؟!

كيف يكون خلقه بهذه الدقة والروعة والاحكام، وأنتم تقولون: لا يوجد إله! لايوجد بعث! لايوجد شرع! كيف هذا؟! محال

وهذا من علاقة القسم بجواب القسم.

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (7) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (8))

فربنا سبحانه يقول: من ينصرف عن السجود لله سبحانه وتعالى وتعظيمه بعد أن عاين هذه الآيات؛ هذا شخص مأفوك, بمعنى:أنه رأى الحق ثم أعرض عنه؛ هذا ليس منه أمل (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (9))

هذا أشبه بماذا؟ مثل شخص تقول له: هذا هو الطريق المستقيم، ترسمه له وتخطه وتقول له التزم به، فينحرف شمال, فتعيده وتقول له تعال! هذا هو الطريق فتجده يتجه شمال = هذا مأفوك!

مَنْ أُفِكَ

الإفك من معانيه القلب؛ أي: **قلب الحقائق** لذلك سميت حادثة الإفك؛ بهذا الاسم ..

لأنهم قلبوا الحقائق؛ أُمنا عائشة الطاهرة العفيفة المبرأة يتهمونها بالفاحشة!! يقلبون الأمور.

فالإفك كذب وافتراء وقلب للحقائق، فربنا يقول لهم: أنتم تريدون تصديق هذه الأمور, فإذا كان الشخص يميل لأن يصدق الأشياء الخطأ، فهو ((مأفوك)).

فربنا يقول للنبي عليه الصلاة والسلام : لا تتعب نفسك معه.

يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (9)

رُوي عن قتادة أنه يقول: إن المأفوكون عن القرآن كُثر.

كثير من الناس لا يريدون أن يسمعوا القرآن, لماذا؟ لأن القرآن يواجههم بالحقيقة.

القرآن واضح ..يخبرك أن الله الواحد الأحد، هناك بعث و حساب، الله قدير .. الله عظيم .. القرآن حقائق .. وهناك ناس لا تريد أن تسمع حقائق!!!

تريد أن تسمع كلام يقبل الاحتمالات، لا تريد حقائق محسومة حتى تتمكن من الروغان والهروب ،، فلا تريد قرآن!.

فربنا يسمي من لا يريد سماع القرآن، ولا سماع حقائق القرآن، ولا يريد سماع :أنت ستموت، وسوف تُحاسب، وتُسأل..يسميه ((مأفوك)).

يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (9) وقالوا أيضا من معاني "أُفِكَ" أنه **غُرِر به وهو راض.**

"أُفِكَ" فعل مبني للمجهول؛ أي أن هناك شخص غَرَر به؛ وهو صدقه وطاوعه، وهو على يقين أنه يكذب، لكنه صدقه لأن هذا الكلام الكذب الذي يقوله موافق لهواه فأعجبته الكذبة!

أعجبته فكرة أنه لايوجد شرع، وأن الدين أن تفعل ما تشاء، ولا يوجد إله! ..أعجبته الفكرة؛ بالرغم من أنه لايوجد عليها أي دلائل، ولا قواعد، ولا قوانين، ولا أي شئ لكنها أعجبته؛ فهي مناسبة لهواه!

فاختار لنفسه أن يكون بلا ديانة..أريد أن أظل ملحدا ..أي أنه يختار ما يوافق هواه ..يريد ديناً يُحلل الشهوات ..إذاً هو الإلحاد؛ أنا أريد أن أكون ملحدا ..حُرا بلا أي قيود يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (9)!

طريق الشك!

لذلك قال الله عز وجل بعدها (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (10) أي لُعِن الذين يقضون حياتهم كلهافي شك ..يختار طريقا ويمشي فيه، وهو غير مقتنع به أصلا للأسف.

ممكن أحيانا أتكلم مع شخص ملحد؛ أجده هو أصلا ليس عنده يقين فيما يتبعه ..لا يعلم كيف يدافع عن رأيه!

فتستغرب؛ كيف تنكر كل هذه الدلائل مقابل شك؟! فيجيب: إنهم يقولون أن الإسلام فيه شبهات! ويقولون أيضا أنه لا يوجد شئ يثبت أن ربنا موجود! تسأله: من هؤلاء؟

هذا واقع نراه .. تخيلوا؛ واحد يضيع مصيره الأُخروي خَرصا! ب..سمعت، ويقولون!

وهو لا يسمع أي شئ عن الإسلام، فبالتالي أي شئ يُقال عن الإسلام يُصدقه، ويترك الطريق!

تستعجب فعلا؛ واحد يترك الطريق لشبهة حتى لم يسأل عنها!

قد يترك أحدهم الطريق لشبهة سمعها في الدين صدقها دون أن يسأل عنها .... أو تَرَك محكمات في الدين لوجود شبهة عابرة .. مثلا: رأى شخصا يعمل في الدين عنده بعض التجاوزات؛ مثلا حرامي أو مُرتشي؛ فيكون ردة فعله أن يترك الدين كله لأجل لقطة عابرة!

هذا واحد يسير في حياته بخَرص؛ يبحث عن أي حجة واهية ؛ليترك الطريق!

غَمْرَةٍ سَاهُونَ

فربنا يقول على هؤلاء (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (10) الذين يفكرون بهذه الطريقة؛ عندهم استعداد أن يتركوا الدين لأجل أي شبهة عابرة ربنا قال عنهم: (الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (11))واحد غرقان وسرحان.. الماء يغمره.. يغرق وهوسرحان!

سورة الذاريات تلت سورة ق..نلاحظ نوع من تطور البعد عن الله.

في سورة ق (لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا) ثم تطورت الغفلة إلى غمرة (الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (11)) في الذاريات.

كان في غفلة وسهو لكنه لازال على الأرض.. ثم أصبح في غمرة .. مغمور غرقان في بحر الشهوات والشبهات تائه لايريد أن يسأل !

ثم أخيرا.. بدأ يفيق ويسأل (يَسْأَلُونَ)..ولكن انظر عن أي شيء يسأل! (يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) يقول مستبعدا مستهزأ.. متى يوم القيامة الذي تتكلمون عنه ؟!

تنصحه.. أفق .. استيقظ من هذه الغيبوبة التي تعيش فيها.. ياأخي.. يا بني أفق من بحر الشهوات الذي تعيش فيه.. يا بني اخرج من جو الشبهات هذا.. توقظه بطرقات من القرآن المكي المتتالية .. لكنه يستهزئ ويقول أين يوم القيامة هذا؟! منذ عشر سنين وأنتم تقولون يوم القيامة.. أين هو؟!

(يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ)

دائما نقول القرآن يعامل السائل المستهزئ، غير السائل الصادق.. القرآن يجيب على أسئلة السائل الصادق؛ الذي يسأل باحثا عن الحق.. أما الذي يسأل باستهزاء أو استنكار أو استبعاد، القرآن ليس فقط يتجاهله لكن أيضا يصدمه بنتيجة ماينكره.

نضرب مثلا: طالب مثلا يسأل مستهزأ؛ متى الامتحانات؟!

ترد:الامتحان يوم ما ترسب.. أنت لا تقنعه أنك ستمتحن.. أنت تجاوزت هذه المرحلة معه.. أنت تقول له أنك ستدخل الإمتحان، وسترسب وتُعاقب .. ولله المثل الأعلى.

فهذا يقول (أيان يوم الدين) متى يوم الدين ؟!

متوقع أنك تقول له: يوم الدين لا يعلمه أحد.. أو تقول له: يوم الدين له أشراط ساعة صغرى وكبرى؛ هذه أجوبة تصلح أن تكون إجابة لهذا السؤال؛ لكن الإجابة جاءت(يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ((13)).

القرآن تجاوز السؤال عن الموعد، وتناول ما سيحدث فيه،

أنت تسأل عن يوم القيامة، فجاءت الاجابة: يوم القيامة يوم أن تدخل النار، وتُعذب فيها، وكما أنت مفتون في الدنيا تعاقب بالعذاب في النار يوم القيامة .

(ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (14))

عندما يدخل النار يُذَكِّروه، ألست كنت تسأل عن النار؟! ذق وأجب؛ هل النار موجودة حقا أم لا؟

يبكتوه!،عذاب نفسي أيضا والعياذ بالله.

يُبكت ﴿.. أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُم يَتلونَ عَلَيكُم آياتِ رَبِّكُم وَيُنذِرونَكُم لِقاءَ يَومِكُم هذا ..﴾

[الزمر: ٧١]

لابد أن يُسأل وهو في النار ويُبكت، الملائكة تُبكته والشيطان يُبكته والمستضعفين يبكتون المستكبرين، والمستكبرين يبكتون المستضعفين ،تبكيت و عذاب نفسي.

(ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) معناها ذوقوا جزاء فتنتكم في الدنيا أو الفتنة أحيانا تأتي بمعنى العذاب(هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ)

الرزق الحقيقي

الله سبحانه وتعالى تحدث في أول السورة عن الرزق وتقسيمه ، ولكن كان أول رزق ذكر هو الرزق الأخروي (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)

وبعد ذلك تكلم عن الرزق الدنيوي (فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ) فكلمة "عجل سمين" كأنه رمز للرزق الدنيوي ،وهو عجل سمين حقيقي وليس مجازا؛ كأن فيه اشارة أن سيدنا أبراهيم من قوة طاعته لله سبحانه وتعالى أغناه الله فكان يقدم لضيفه عجل سمين وهو لا يعرفه وهذا دليل على أن الله عز وجل أعطاه من فضله

وكرمه سبحانه وتعالي، فبدأ الله ب**الرزق الذي ينبغي أن ينشغل به الإنسان والذي لو أعطاه الله عز وجل إنسانا لا يبكي على شئ من رزق الدنيا= رزق الآخرة** (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)

(آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ) قيل أي: يأخذون النعيم (جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) يوم القيامة، ربنا يعطيهم النعيم ويقبلوه وهذا هو قول غالب المفسرين، وقيل آخذين ما آتاهم ربهم في الدنيا، كانوا يأخذون الشرع بقوة (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ) (البقرة:63) وهذا رأي قلة من المفسرين.

لماذا يدخلهم ربهم جنات وعيون ويغدق عليهم من النعيم؟ (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ) إذاً يوجد أناس في غمرة ساهون وأناس محسنين.

ما هي علامات الإحسان؟

الإحسان هو أعلى درجة في العمل، فدائما عندما تسمع أعلى درجة ليس معناه أنك ستفعلها غدا، إنما النهاية، أنت مثلا تفكر للوصول لدرجة ما؛ إن شاء الله في خلال عشر سنين أحصلها؛ لكن هذا سيكون طريقك.

هل معنى أن هذه المنزله تأتي بعد وقت أنا لا أستطيع أن أفعلها الآن؟ بل تستطيع أن تفعلها لكن الإستمرار عليها هو الذي يحتاج إلى مثابرة.

القرآن بيعمل حاجة عجيبة جدا بيعلي همتك وفي نفس الوقت تكون واقعي .

(كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)

الهجوع هو النوم الخفيف بالليل, نلاحظ أن الله لم يذكر أنهم كانوا يصلون كثيرا، ولكنه ذكر أنهم كانوا ينامون قليلا وكأنهم كانوا يتقلبون في ألوان العبادة، صلاة ، واستغفار ،ودعاء، وهذا يعني أن ليلهم كان عامر بالقرآن والعبادة بصور مختلفة .

قرأت مقالة جميلة ، للدكتور عبد السميع الأنيس وهو دكتور في علم الحديث؛ جمع فيها هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع القرآن ليلا، جمع كل أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، التي كان يقرأ فيها القرآن بالليل فوجد أنه كان يقرأ حوالي خمسة أجزاء تقريبا

(كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) وليس معناه أنهم كانوا يقضون الليل في اللهو ،إنما كانوا يتقلبون بين أنواع العبادات، لأن هؤلاء الناس ربنا سبحانه وتعالى وصفهم بالإحسان ، وبالرغم من هذا (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) لإحساسهم أنهم مقصرون.

الآية التي بعدها عجيبة جدا ذكرت أن معهم أموال (وَفِي أَمْوَالِهِمْ) يعني بالرغم أنهم كانوا يتعبدون بالليل ويستغفرون في السحر ،لكنهم لم ينعزلوا عن الحياة، كما قال ربنا:(رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ)عندهم تجارة وعندهم بيع لكن لم تلهه هذه التجارة عن العبادة .

إذن القضية أن تكون متوازنا

ولاحظ (وَفِي أَمْوَالِهِمْ) جاءت بالجمع بما يشير أن الله كان يبارك لهم ويرزقهم، ولكن لكي يحافظ على هذا الرزق كان يتقي الله فيه .(وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (19) وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (20))

الذي لا يصدق فلينظر في آيات الارض بل فلينظر في نفسه(وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

الذي عنده شك في الرزق يتدبر في خلق الله عزوجل، في الأرض، بل يتدبر في خلق نفسه (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) ثم يقسم الله عز وجل (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ)

هل حق تعود على وعد الله بالرزق ؟؟

أم كل الكلام الذي ذكره الله حق " الجنة والنار والمحسنين والذين في غمرة ساهون "؟

كل هذا وارد.

نلاحظ أن **كلمة "عقيم" ذُكرت مرتين** في السورة،

ذكرت **مرة** مع قصة سيدنا إبراهيم (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ)

أي أن زوجة إبراهيم تتعجب من البشرى بالغلام (وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) فأول ما سمعت البشرى صكت وجهها وقالت: كيف ألد وأنا عجوز عقيم، وهذا بعلي شيخا؟!

أي اجتمع فيها سببان مانعان من هذه البُشرى ،حتي لو هي غير عقيم ،هي عجوز أصلا ،يعني بلغت سن اليأس، لم يعد عندها أسباب الحمل (بويضة)،كيف ستلد؟!

هذا لو أصلا كانت تحمل وهي صغيرة، فكيف الحال وهي من صغرها عقيم؟!

فقالت :عجوز عقيم ،كيف ألد؟!!

فكأن ربنا سبحانه وتعالى يقول هو قادر لا يقف أمام قدرته شئ سبحانه وتعالى (هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ) ، قادر أنه يحول العقيم الى إمرأة تلد.

وفي أول السورة(وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (1)) الرياح التي تأتي بالخير،

ثم ربنا قال:(وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (41)) ، **فربنا قادر إنه يجعل الذاريات عقيم .. وقادر أنه يجعل العقيم تلد..**

سبحانه قادر أنه يقلب الأمور كيف يشاء, لابد أن يكون عندي اليقين أن الله على كل شئ قدير.

سمعت أحد اخواننا يتكلم في مشهد سورة الذاريات..

مشهد الرياح وهي تحرك البذور والسحاب وهويحرك الرزق والسفن تجري والملائكة تقسم،

وهو في هذا الجو واقف طوال الليل يصلي، قلبه معلق بالله الذي يفعل هذا كله ..

هذا يعني: بدلا من أن تجري وراء الرياح-أنا لا أقول لا نسعي وراء الرزق- أنا أتكلم عن الليل،

النهار أنت تتحرك فيه، تطلب الرزق، تعمل وتكد وتجتهد في البحث عن رزقك، أنا أتكلم عن ليلك ..هذا يتحرى أصل المسألة أن يتعلق القلب بالرزاق ،،هو يقف في الليل بين يدي الله الذي يحرك كل هؤلاء-الرياح والسحب والسفن والملائكة-

(كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)، فيقف في جوف الليل يدعو الله عز وجل،وبعد ذلك يتحرك في النهار فيرزقه الله عز وجل،وقد يرزقه الرضا حتى لو الرزق بسيط..

هناك ناس مهما رزقها الله أموالا لا ترضى، بل زيادة المال تكون زيادة وبال عليهم عياذا بالله.

فالله عز وجل علمنا في هذه السورة: **أنه قادر أن يغير كل شئ..**

ثم ذكر لنا الغاية من المجئ إلي الدنيا،

الغاية من الخلق

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ).

لاتنسي في سعيك، وأنت تطلب الرزق أن طلب الرزق ليس الغاية من وجودك

أنت مخلوق لعبادة الله سبحانه وتعالى، هوخلقك لعبادته.

هذا ينعكس في تصرفاتك, فيكون في أموالك حق للسائل والمحروم ..

دليل علمك أن الغاية من الخلق هي العبادة وليس جمع الأموال أنك تستعملها في طاعة(وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ).

طبعا السورة تحتاج لوقفات كثيرة، ولكن حتى لانطيل؛ نأخذ ملمح، ووقفة سريعة عن صفة الله- تعالى- "خيرالرازقين"في القرآن ..

الآن أنا أريد هذا الرزق.. أريد المعاملة الخاصة من الله.. أنا أتمنى معاملة خاصة من الله كيف لي هذا ؟؟؟

إذاَ عليك أن تعيش حياة خاصة مع الله؛

لا يمكن أن تعيش الحياة العادية للناس، وتطلب المعالي، والرضا، والسكينة،والطمأنينة التى يجدها أهل الطاعة .. محاااال !

وهذا كذلك يسري في الأمور الدنيوية ..

من يحقق مركز دنيوي معين؛ يكد ويتعب ويعمل.. أنت تريد نفس المركز بلا تعب، وبلا مشقة، وبلا جهد!..محاااال!

ولله المثل الأعلى .. ونحن نعلم :أنه ليس بين الله وبين أحد من عباده نسب.. **إنما هي فقط التقوى والعمل الصالح.**

حين نتأمل صفته جل وعلا **"خيرُ الرازقين"** في القرآن نجدها **وردت 5 مرات**

- **الموضع الأول**: في سورة المائدة :

(اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ .. وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)

حين يستنكر الناس، ويستبعدون قدرة ربنا!

قالوا: (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ) أي: هل يمكن لربنا أن يفعل هذا ؟!هل هذا معقول؟!

..فسيدنا عيسى- عليه السلام - حين دعي، وطلب نزول المائدة قال: (وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)

حين يستبعد الناس، وتستنكر قدرة الله جل وعلا؛ يحتاجون أن يسمعوا أنه عزوجل (خَيْرُ الرَّازِقِينَ)

تماما مثل قوله تعالى: (أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا) في سورة هود.

- **الموضع التاني**: في سورة الحج :

(وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)

إذاً مَن سينال وينتفع بهذه الصفة (خير الرازقين) ؟!

(وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)..الذي يعمل لنصرة دين ربنا سبحانه وتعالي.. أياً كانت نتيجة هجرته , (قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا) ..سواء ميتة طبيعية أو قُتل في الجهاد ..

المهم أنه هاجر؛ **والمُهاجر هو**: (**الذي هجر مانهي الله عزوجل عنه**)[3]؛ كما علمنا النبي -صلي الله عليه وسلم.

فالذي همه وسعيه في الدنيا لنصرة دين الله؛سينال المعاملة بهذه الصفة "خير الرازقين".

[3] أخرجه البخاري

مثلما بَيَّن تعالى أن هناك صفات له –سبحانه وتعالي– لا ينالها كل الناس..

قال تعالى في الأعراف (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) لكن لمن يارب هذه الرحمة؟

بالتأكيد لفئة معينة من الناس ﴿... فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآيات

فصفة "خير الرازقين"لكي تنالها لابد أن تعمل في سبيل الله.

- **الموضع الثالث** : في سورة المؤمنون

(أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)

أناس رافضة، خائفة من الطريق.

فرب العالمين يسألهم ممَّ تخافون ؟! أمن السير في طريق الدين؟! أم خائفون علي الأموال ؟!

وهذا نفس المعني الذي ورد في الموطن الرابع

- **الموطن الرابع**:في سورة الجمعة:

(وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ) ،

أتتركون طريق الدين من أجل الرزق ! كيف؟! (وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)

أتترك خير الرازقين، وتلهث وراء أسباب هي بيده سبحانه وتعالي ؟!

إذاً هناك موضعين (الثالث والرابع) لأناس تنصرف إعراضا سواء في سورة المؤمنون=كفار في قمة الإعراض

أو مؤمنون في سورة الجمعة= كانت غفوة منهم، قاموا وتركوا خطبة النبي –صلي الله عليه وسلم–، وذهبوا من أجل الرزق، فعاتبهم الله عز وجل:

(وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا)

أتتركون بيئة الإيمان بحثا عن الرزق ؟! ..أتعتقدون أن هذا سوف يجلب لكم الرزق ؟!

(قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)

- **الموطن الخامس والاخير**: في سورة سبأ:

وحتى نفهم السياق في سورة سبأ –بالإمكان الرجوع إلي دروس سورة سبأ_ لكن سريعا ..

سياق الآيات جاء: أن أهل الباطل يخاطبوا أهل الإيمان ألستم تقولون : (وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)، حسنا.. نحن معنا المال (وقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)

في هذه اللحظة ممكن أن تشك؛ كيف لهذا أن يكون؟!

كيف أنهم على الباطل، ومع ذلك معهم أموال ؟!

فتأتي الآيات لتوضح: أن الله عز وجل(اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ) أي أن الله عزو جل هو من يوزع الأرزاق، وأن هذا المال ابتلاء واختبار.

فالمؤمن ينفقه في مرضاة الله، قال تعالى (وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) . أهل الإيمان ينفقون المال فيما يُرضي ربهم سبحانه وتعالي، في سبيل الله، وهو مع ذلك سيخلفهم خيرا.

أما أهل الباطل؛ فالمال سيكون وبال عليهم، وسيعذبون.

هناك أناس يكنزون المال لينفعهم! هذا المال سيصبح وبالا عليهم.

فالشاهد من هذه المعاني لصفة(وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)،

أن من يريد أن ينال هذا الوصف لابد أن يُهاجر، أن يترك لله سبحانه وتعالي، وألا يترك بيئة الإيمان.

كما حدث وذكر الله تعالى في سورة الجمعة، وعاتب المؤمنين الذين تركوا المسجد في وقت خطبة الجمعة, هذا وقت صلاة الجمعة فلا تتركه, هناك وقت للدين، ووقت للدنيا، فأنت تذهب صباحاً للعمل، لكن هم قاموا بحثا عن الرزق، متى؟!

ساعة صلاة الجمعة ! .. وقت الموعظة !.. فهل هذا وقت طلب الرزق؟!!

(وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ) قد يقول أحد: عندما أعطي وقت للدين، ولا أعطي كل وقتي للدنيا، فسيسبقني أهل الدنيا فيها، ويصبحون أفضل مني في الدنيا؟!

وما المشكلة في ذلك!

ماذا لو أصبحوا أفضل منك في الدنيا؟!

رب العالمين هو (خَيْرُ الرَّازِقِينَ)،

هل معيارك وهدفك الدنيا؟!، أم أنك لك غاية؟! (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

سيكون أفضل مني!

سيكون افضل منك عند مَن ؟!

عند الله أم عندالشيطان؟!!

ما هو معيارك؟!!

سيسبقك في الدنيا, ما المشكلة ؟!

أنت يتوجب عليك أن تعطي وقتاً للدين، فلا يصح أبداً أن يكون كل وقتك للدنيا!

تعطي كل وقتك للدنيا، ولا تشعر ببركة، ولا رضا، ولا سكينة، ولا طمأنينة، وتقول أين الله الرزاق!

أين أنت من عبوديتك لله سبحانه وتعالي!!!

كن عبداً لله عز وجل فيرزقك.

كلما ازددت عبودية، وقربا لله سبحانه وتعالي، ستجد آيات في رزق الله لك.

حقا.. ستجد آيات في معاملة الله- عز وجل- لك.

هذه الآيات والمعاملات لا توصف؛

إنها لن تكون محصورة مثلا في زيادة راتبك الشهري..

لا, الأمر أعمق من هذا بكثير، الأمر في علاقة العبد المؤمن بربه سبحانه وتعالي.

نكتفي بهذا القدر.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .